

شفاعة الصيام والقرآن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن
والاه.

وأما بعد: فنحن اليوم مع نعمة من نعم الله عز وجل الجليلة التي أنعم
بها على عباده، وتفضل بها عليهم، وتحفيزاً لهم على الاجتهاد في طاعته
وعبادته، وحتى يفوزوا بخيره وعطائه، ونعمة يحتاج إليها العباد يوم يتخلى
القريب عن قريبه والحبيب عن حبيبه، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

إنها الشفاعة، وما أدراكم ما الشفاعة؛ نعمة من نعم الله، وعطية من
عطاياه، ينالها العبد بالصيام والقرآن، ونحن في شهر الصيام وشهر القرآن،
ولم يتبق منه إلا أسبوع واحد.

• **مفهوم الشفاعة:** أن يشفع لك من أذن الله له في الشفاعة، ويقف
بجانبك ناصراً لك، وسائلاً عنك.

الشفاعة: أن يسأل مَنْ هو أَهْلٌ للشفاعة رَبَّهُ سبحانه أن يتجاوزَ عن ذنوبك وجرائمك.

الشفاعة: طلب الشفيع من الله تعالى نفعَ محتاج، أو دفعَ ضررٍ عنه.

• **فما أحوج الناس إلى الشفاعة يوم القيامة؛** حين يقف كل واحد منا وحيدا فريدا، ولا مال، ولا منصب، ولا جاه، ولا أبناء، ولا أصحاب، الكل مشغول بنفسه، والكل يقول: نفسي نفسي.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وقال عز وجل: ﴿يُبَصِّرُوهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

من شدة الهول والفرع في ذلك اليوم لا يسأل الولد عن والده، ولا الوالد عن ولده، ولا القريب عن قريبه، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

كلّ امرئ بما كسب رهين، ينظر ما قدمت يداه، وينتظر ما يُقضى به عليه، وهو واقف بين يدي الله يحاسبه على أعماله، ويُقرّه بذنوبه وآثامه.. ولتقف على حجم الهول الذي ينتظرك في ذلك اليوم، قف مع حديث الشفاعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَهَسَ مِنْهَا نَحْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يُجْمَعُ النَّاسُ؛ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ**

الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ

بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي،
 اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا
 تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟
 فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ
 مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ:
 يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ:
 أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا
 حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيَمَا
 سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ. متفق عليه.

في ذلك الموقف العظيم، الذي قال عنه رب العالمين: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ
الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ﴾.

يأتي الصيام ليشفع لأهله، ويأتي القرآن ليشفع لأهله. قال رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَقُولُ

الصِّيَامُ: أَي رَّبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعَنِي فِيهِ. وَيَقُولُ
الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعَنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ». رواه أحمد.

فهنيئاً لمن شفع له الصيام؛ فهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى.
وهنيئاً لمن شفع له القرآن؛ فهو كلام الله عز وجل.

• **فها هو الصيام يأتي ليشفع لك عند الله يا من صبرت على ألم
الجوع والعطش ومنعت نفسك مما تشتهي طاعة لله.** والصيام الذي
يشفع لصاحبه، هو الصيام الذي لم يَصْحَبْهُ صَخَبٌ ولا كذب ولا زور
ولا رفث ولا ظلم ولا عدوان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من
لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.**»
رواه البخاري.

فمن أراد شفاعَةَ الصيام، فليحافظ على صيامه، ولا يُفْسِدْهُ
بِالْمُنْكَرَاتِ، ولا يُضَيِّعَ أَجْرَهُ بِالسَّيِّئَاتِ. من أراد شفاعَةَ الصيام، فليَحْفَظْ
لسانه، وليغضّ بصره، وليكفّ يديه ورجليه عن كل سوء ومكروه.

يقول جابر رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك
عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا
تجعل يومَ صومك ويومَ فطرك سواء".

من أراد شفاعة الصيام، فليحسب نفسه عن الشهوات، مما حرّمه الله عز وجل على الصائم في نهار رمضان، أو مما حرّمه الله تعالى على العباد على الدوام.

فاترك شهوتك لله، لتحظى بشفاعة الصيام.

*** **

الخطبة الثانية

وأما شفاعة القرآن: فرمضان شهر القرآن، فيه ابتداء نزوله، وفيه كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيدارسه القرآن، وفيه يُقبل الناس على القرآن، وفيه يُختم القرآن في صلاة التراويح، وفيه تعقد مجالس القرآن وموائده... ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾.

رمضان شهر القرآن، والقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة. القرآن يشفع لمن يقوم به الليل. فيقول: رب منعه النوم بالليل فشفعني فيه. فهل فعلا منعك القرآن من النوم يا عبد الله؟ ما الذي أسهرك؟ القرآن؟ التدبر؟ القيام؟ الدعاء؟... أم أنّ الذي أطار نومك في رمضان هو اللهو واللعب،

والمواقع والقنوات، والتجول في الشوارع والمنتزهات، وتعاطي المسكرات والمخدرات، وقضاء الليل في مجالس الغيبة والنميمة والكذب والبهتان؟... ما الذي أطار نومك وأقض مضجعتك؟ وجعلك تسهر الليل كله أو جله؟ هل هو القرآن الذي أسهر الصالحين، وأقامهم بين يدي الله راكعين ساجدين؟.. كما قال عنهم رب العالمين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

فأين نحن من هؤلاء؟ بعضنا لا يستطيع أن يحمل نفسه على إتمام صلاة التراويح مع الإمام في رمضان، فكيف سيقوم الليل في غير رمضان؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ». رواه الترمذي.

القرآن يشفع لمن يقرأه ويتلوه بالليل أو بالنهار. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِصَاحِبِهِ...». رواه مسلم.

فهنيئاً لك يا من تواظب على قراءة القرآن. فمن أراد المنافسة فهذا ميدان السباق ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. في فعل الخيرات والطاعات. القرآن يشفع لمن يتدبره ويعمل به، ويتخلق بأخلاقه، ويلتزم بأحكامه وآدابه. قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَمْلُوكُ». رواه ابن ماجه.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ». رواه مسلم.

فاتقوا الله عباد الله؛ واجتهدوا في طاعة ربكم، وابتعدوا عن معصيته، واغتنموا شهركم هذا فيما يسعدكم وينجيكم ويشفع لكم عند بارئكم.

واعلموا رحمكم الله أن أيام رمضان معدودة، ولياليه محدودة، ستنقضي، وستنتهي مشقة الطاعة فيه وألمها، ويبقى أجرها وثوابها لمن صبر واجتهد وعمل صالحاً، فاللهم ارزقنا شفاعاة الصيام، وارزقنا شفاعاة القرآن، واحفظ صيامنا من كل معصية وسوء، وحبب إلى قلوبنا كتابك الكريم، يا رب العالمين.

اللهم وفقنا لحسن الصيام والقيام، وأعنا على طاعتك وعبادتك
وذكرك، يا رحمان. اللهم اجعلنا في هذا الشهر من المرحومين، واجعلنا
فيه من الفائزين، واجعلنا فيه ممن قبلت منهم الصيام والقيام وأعتقت
رقابهم من النيران، يا رب العالمين.